وعن المحبوب حتى يعيق وقوله يلبح يحتمل لموع درجة التمييز بين المنافع والمضار فلا يقوم حجة
في المطلوب وتقرير هذا القول على هذا الوجه يحتاج عند من اثبت الحسن والقبح العقليين الى
نظر وانما اشترط الفهم لاستحالة الامتثال بدونه اذ الامتثال الاتيان بالفعل على قصد الطاعة
وتسهيل ممن لا شعور له بالامر قصد الفعل امتثالا للامر والا اي وان لم نشترط الفهم صح التكليف
للبهائم اذ لا مانع يتصور في البهيمة الا عدم الفهم وقد فرض انه ليس بمانع واللازم باطل
من جوز تكليف الغافل من الاشاعرة بانه لو لم يجز لما وقع لكنه وقع لانه اعتبر طلاق السكران
وقتله واتلافه فكلف بموجبها والجواب ان طلاق السكران ونحوه ليس من قبيل التكليف بل من
قبيل الاسباب اي ربط الاحكام باسبابها كاعتبار قتل الطفل واتلافه لوجوب الدية والضمان
اما على الولي في الحال واما على الصبي بعد بلوغه واعتبر طلاق السكران لوقوع الفراق عقوبة له
عند بعض اصحابنا وعند الاخرين لا يقع وقال الامام يحيى بن حمزة الخلاف فيما اذا بقي له بعض تمييز
واما اذا صار كالنائم لا يميز بين الارض والسماء فلا يقع طلاقه وفاقا وحينئذ لا حجة لهم فيه ايضا
التكليف مع التمييز احتجوا ايضا بقوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
وهذا نهي لمن لا يعلم وهو تكليف فقد كلف من لا يعلم والجواب ان قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
ظاهر في مقابلة قاطع فوجب تاويله فهو النهي عن السكر عند قصد الصلوة مثل لا تمت وانت ظالم
فان معناه لا تظلم فتموت وانت ظالم واما نهي للثمل الثابت العقل عن الصلوة وسمي الثمل سكران
لانه يؤدي الى السكر غالبا وذلك لمنعه اي الثمل التثبت كالغضب وقد يقال للغضبان
اسكت حتى تعلم ما تقول اي تعلم علما كاملا وليس الغرض نفي العلم عنه بالكلية **مسئلة** في تعلق
الخطاب بالمعدوم لا شك ان تكليف المعدوم وارادة تحصيل الفعل منه في حال عدمه مستحيل ضرورة
واتفاقا وانما الخلاف في تعلق خطاب الله تعالى به في حال عدمه فعند ائمتنا والمعتزلة ان الخطاب لا
يجوز ان يتعلق بالمعدوم حال عدمه لانه اي الخطاب توجيه الكلام نحو الغير للافهام ولا يفهم
المعدوم خلافا للاشعرية فانهم اوجبوا تعلقه بالمعدوم بناء على قاعدة قدمه اي قدم الخطاب
ومعنى تعلقه به ان المعدوم الذي علم الله تعالى انه يوجد بشرائط التكليف توجه عليه حكم
في الازل بما يفهمه ويفعله فيما لا يزال وكلامهم متردد في ان معناه ان المعدوم مامور في
الازل بان يمتثل ويأتي بالفعل على تقدير الوجود او ان المعدوم ليس بمامور في الازل لكن لما
استمر الامر الازلي الى زمان وجوده صار بعد الوجود مامورا وتحقيقها في علم الكلام
والحاصل في هذه المسئلة ان ارباب الملل والمذاهب اتفقوا على ان الباري تعالى متكلم ولكنهم
اختلفوا في معنى كلامه وفي قدمه وحدوثه فقالت الحنابلة والحشوية كلامه تعالى حروف واصوات
قديم قائم بذاته وبالغوا حتى قال بعضهم الجلد والغلاف ايضا قديمان فضلا عن المصحف ووافقهم
الكرامية في المعنى وخالفوهم في القدم فقالوا انها حادثة قائمة بذاته تعالى لتجويزهم قيام الحوادث
بذاته تعالى ووافقهم ايضا الاشاعرة في القدم وخالفوهم في المعنى فقالوا كلامه تعالى ليس من جنس
الاصوات والحروف بل هو معنى قائم بذاته تعالى يسمى الكلام النفسي وهو مدلول الكلام اللفظي

المركب من الحروف وهو قديم ووافقهم ايضا اصحابنا والمعتزلة في المعنى وخالفوهم في القدم
والقيام بذاته تعالى فقالوا كلام الله تعالى حروف واصوات حادثة ليست قائمة بذاته تعالى بل خلقه
في غيره ومعنى كونه متكلما انه خلق الكلام في بعض الاجسام فان قيل لا يلزم بمجرد خلق الكلام
ان يوصف بكونه متكلما كما لا يلزم من خلق الجسم ان يوصف بكونه متجسما قلنا خلق الكلام
يختص من بين انواع الخلق باسم التكلم فيكون المتكلم خالق الكلام بلا اشكال واستدل على
ذلك بوجوه كثيرة حاصلها ان كلام الله هو المؤلف من الحروف المسموعة والاشاعرة لا ينازعون
في حدوث المؤلف منها كما صرح به في اثناء دليلهم الاتي فلا حاجة الى ذكرها واستدل الاشاعرة
بان المتكلم من قام به الكلام لا من اوجد الكلام ولو في محل اخر للقطع بان موجد الحركة في
جسم اخر لا يسمى متحركا وان الله تعالى لا يسمى بخلق الاصوات مصوتا وانا اذا سمعنا قائلا يقول انا
قائم نسميه المتكلم وان لم نعلم انه الموجد لهذا الكلام بل وان علمنا ان موجده هو الله تعالى وحينئذ
فالكلام القائم بذات الباري تعالى لا يجوز ان يكون هو الحسي اعني المنتظم من الحروف المسموعة
لانه حادث ضرورة ان له ابتداء وانتهاء وان الحرف الثاني من الكلمة مسبوق بالاول
مشروط بانقضائه فيكون له اول فلا يكون قديما والحرف الاول ايضا لما كان له انقضاء
لا يكون قديما لامتناع طريان العدم على القديم والمجموع المركب منهما لا يكون قديما والحادث
يمتنع قيامه بذات الباري تعالى فتعين ان يكون هو المعنى اذ لا ثالث يطلق عليه اسم الكلام
وهو الذي يسمى بالكلام النفسي فان من يورد صيغة امر او نهي او نداء او اخبار او استخبار
او غير ذلك يجد في نفسه معاني يعبر عنها بالالفاظ التي نسميها بالكلام الحسي فالمعنى الذي
يجده في نفسه ويدور في خلده ولا يختلف باختلاف العبارات ويقصد المتكلم حصوله في
نفس السامع هو الذي نسميه كلام النفس وحديثها هذا دليلهم في اثبات الكلام النفسي وردناه
مبسوطا ولا يخلو قواعده عن خلل فمن ذلك قولهم المتكلم من قام به الكلام الخ قال السيد المحقق هيئات
وكيفيات عارضة للصوت القائم بالهواء المتحرك حركة مخصوصة فيكون الكلام قائما بالهواء والهواء
ليس قائما بالمتكلم حتى يقال ما قام به قائم بالمتكلم بالواسطة فاذن نسبة الكلام الى المتكلم
ليست لقيامه به بل لانه يعين الحروف ويميز بعضها عن بعض وكذا الكلمات والتركيب وعلى
هذا لا يصح تفسير المتكلم بمن قام به الكلام بل بمن قام به التكلم الذي هو التعيين والتمييز
ونظير ذلك ان المتعلم من قام به التعلم لا من قام به العلم لظهور ان مبدأ الاشتقاق فيهما هو
التكلم والتعلم لا الكلام والعلم ولما ظهر فساد مبنى الكلام ظهر عدم صحة قولهم وحينئذ فالكلام
القائم الى اخره والله فيما ذكره السيد المحقق في حاشية الكشاف من انه يمكن ان يبطل برهان على
اثبات الكلام النفسي فيقال دل الشرع ان الله تعالى متكلم والمتكلم من قام به الكلام على قاعدة
اللغة في المشتقات فلابد ان يكون الكلام قديما لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى والعبارات
حادثة فله كلام مغاير للالفاظ والعبارات قائم بذاته ووجه الاندفاع ظاهر ومن ذلك قولهم
فالمعنى الذي يجده في نفسه الى اخره والكلام فيه انا لا نعقل انه امر وراء العلم في الخبر والارادة في الامر

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1